معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (اختصار علوم الحديث)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (20)

التاريخ: الجمعة: 11/ربيع الأول/1441 هـ

08/نوفمبر/2019 م

النّوع الثامن عشر: معرفة المُعلّل من الحديث

المُعلّل: ما فيه علة؛ هذا تعريفُه

فيُقال في الحديث بأنّه معلّل إذا كان فيه علة؛

والعلّة في هذا الباب خاصة هي: سببٌ خفيٌّ قادح؛ يقدح في صحّة الحديث مع أن الظّاهر السّلامة منها.

هذا تعريف العلّة في هذا المَوطِن.

فالحديث يقال له مُعلّل إذا كانت فيه علّة بهذا الوصف.

هذا تعريف العلة بحسب الاصطلاح في هذا الباب.

ورُبما يستعمل العلماء **العلّة بالمعنى العام: فتُطلَق على كل سببٍ فيه إشكال**؛ فكل إشكال يوجد في الحديث؛ يُطلق عليه بأنّه حديث فيه علّة حتى ولو لم تكن قادحة، وإن لم تكن أيضًا خفيَة؛ يقولون هذا الحديث ضعيف، وعلّته أن فيه فلاناً ضعيف وهو سيّء الحفظ مثلاً.

هذه علّة ظاهرة وواضحة ولكن لا يُقال لهذا الحديث بأنّه مُعلّل؛ لأنّ العِلّة هنا ظاهرة وليست خفِيَّة؛ إذاً:

لابدّ أن تكون في الحديث علّة، وأن تكون هذه العلة خفِيَّة، وأن تكون قادحة؛

بهذه الضوابط يمكن أن نحكم على الحديث عندها بأنّه مُعلّل.

أمّا إذا كانت العلّة ظاهرة، أو إذا كانت العلّة غير قادحة؛ فعندئذ لا يسمّى الحديث مُعلّلاً؛ وإن كان العلماء يقولون فيه علّة ويُطلِقون العلة على العلة الظاهرة أحياناً وعلى العلّة الغير القادِحة أحياناً؛ لكن هنا الآن في الاصطلاح عندنا إذا أطْلقوا العلّة؛ فُرادُهم بها العلّة الخفية القادحة؛ لذلك لمّا عرّفوا العلة هنا قالوا: (**هي سبب خفيّ قادح يقدح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها**).

فإذا قلنا هذا هو تعريف العلّة؛ فهي العلة في باب المُعلّل خاصة، وكما ذكرنا؛ فإنهم يطلقون العلة أحياناً بالمعنى العام؛ فيدخلون فيها أيضاً الظاهرة والغير القادحة.

والذي نريده الآن: أن المُعلَّل ما فيه علّة؛ وعرفنا ماذا نقصد بالعلّة في هذا الباب.
وهذا الباب؛ أو هذا النوع؛ وهو المعلّل؛ أقول لكم: إن عالم الحديث لا يسمّى عالم حديث إلّا أن يكون عالماً بهذا الفن؛ إذ إنّ هذا النوع هو اللُّب؛ لُبّ هذا العلم.
كثير من طلبة العلم اليوم تجدُه يحكم على الأحاديث؛ فيقول: إسناده صحيح إسناده ضعيف! ويمشي.
هؤلاء ليسوا من علماء الحديث؛ لأن علم الحديث ليس هذا! هذا أمر سهل يعرفُه أيّ أحد دَرَس قليلاً من العلم فيستطيع أن يرجع إلى الكتب ويعرف هذا الأمر.
القضية ليست هنا؛ القضية أكبر وأعظم وأدقّ؛ وهي في هذا الفن.
لتقول في حديث: حديث صحيح، ويُقبل مِنك قولك كعالم قال هذا حديث صحيح؛ لابدّ أن تكون مُتمكّناً في هذا النوع من العلم؛ وهو علم العِلَل؛ لأنّك عندما تقول هذا حديث صحيح؛ كأنّك تقول: هذا الحديث لا علّة قادحة فيه؛ لأن شروط الصحيح الخمسة معروفة ومنها: ألّا يكون معلّلاً، **وهذه هي أصعب الشروط الخمسة تحقيقاً في الحديث.**
وتحقيق عدم وجود العلة القادحة الخفيّة في الحديث يحتاج إلى شخص مُتمكّن جداً في هذا الفن.
من هنا جاءت أهمّيَة هذا النوع من الحديث، ولهذه الأهمية؛ سنُفرِد له إن شاء الله دروساً خاصة في آخر دِراستنا لعِلم الحديث.
طريقة دراسة علم الحديث عندي:

- المصطلح،
- فعلم الرّجال،
- فطريقة البحث وجمع طرق الحديث،
- ثم بعد ذلك دروس العلل.

هذه الفنون هي التي تُمكِّنك من هذا العلم؛ فدروس المصطلح: تعرّفُك بمصطلحات العلماء، تُعرّفُك بالأحكام على الأحاديث... إلى آخره.
أما دروس الرجال؛ فعلم العِلل موقُوف على علم الرجال؛ لا يمكن للشخص أن يتمكن في علم العلل إذا لم يتمكن في علم الرجال؛ وستأتي إن شاء الله دروس علم الرجال الخاصة به أيضاً.
وجمع طرق الحديث: لا يمكنك أن تقف على علَّة الحديث إلّا بعد أن تجمع طرقَه كما سيأتي إن شاء الله من كلام علي بن المديني، وقد كان إماماً عظيماً من أئمة هذا العلم؛ علم العلل.

علم العلل خاصّة؛ علم عظيم جداً ومهم للغاية ولا يُحسِنه أي أحد.
اليوم نسمع كثيراً فلان يصحّح ويضعف؛ لكن والله أقول لكم حقيقةً كثير من الذين يمرّون علينا؛ ويقال فيهم: فلان يُصحّح ويضعف؛ لا أكاد أنظر إلى تصحيحه وتضعيفه أصلاً؛ لأنّي أعلم أنّه لا علم له بعِلم العِلل من خلال ما وقفت على كلامه، ومن خلال حُكمه على الأحاديث؛ فعلمُه بالعِلل ضعيف، فمثل هذا لا أعتمد عليه؛ إنما يُعتمد على من كان مَعروفاً في هذا الفن في تصحيح الأحاديث وتضعيفها. ليس كل من هبَّ ودبَّ وقال هذا حديث صحيح هذا حديث ضعيف قبِلت منه؛ لا؛ هذه الفوضى الموجودة اليوم في السّاحة؛ غير مقبولة.
وهذا العلم له جهابِذته المعروفون في القديم؛ أئمة العلل؛ أئمّة الحديث؛ مثل: عبد الرحمن بن مهدي، يحيى بن سعيد القطّان، أحمد بن حنبل، أبو حاتم الرّازي، الدّارقطني، أبو زرعة الرّازي، البخاري؛ وغيرهم كثير سيأتي إن شاء الله ذكرهم، وقد ذكرنا الكثير منهم عندما تحدّثنا عن زيادة الثقة، وذكرنا مذاهبهم فيها؛ أولئك كلهم من أئمة العلل؛ حفّاظ جهابذة.

قال المؤلف: (**وهو فَنٌّ خَفِيَ على كثيرٍ من عُلماءِ الحديثِ**)
انظروا! هذا الكلام الذي نقوله لكم؛ ليس أي أحد يستطيع هذا الفن؛ حتّى علماء الحديث الذين تمكّنوا من هذا العلم قلّة!
قال:(**وهو فنٌّ خَفي على كثير من علماء الحديث**)؛ هم متخصصون في هذا العلم؛ لكن مع ذلك خفي عليهم هذا الفن؛ هذا النوع.
قال:(**حتى قال بعض حُفّاظهم: معرفتنا بهذا كهانةٌ عند الجاهل**)
بعض حُفّاظ الحديث قال: معرفتنا في هذا من نوع الكهانة عند الجاهل الذي لا يعرف[1]؛ يظن أنّنا نتكهَّن؛ نتكلم في أمور غيبِية؛ لكن لا؛ هو فنٌّ دقيق خفيٌّ لا يعرفه أي أحد.
وهذا حال الجاهل في كل فن؛ عندما يرى عالماً يتكلم في أشياء هو لا يحسنها، لا يعرفها؛ يقول هذا يتكلم في الغيبيات؛ يدعي معرفة الغيبيات؛ لأنه جاهل؛ ما عرف من أين أخذ هذا العالم؛ فقال: يتكلم في الغيبيات؛ هذا من هذا القبيل.

1- نقل أبو حاتم الرازي في كتابه "العلل" (389/1) هذا القول عن عبد الرحمن بن مهدي؛ ونصه: (إنكار الحديث عند الجُهَّال كهانة)

قال: (**وإنّما يهتدي إلى تحقيق هذا الفن الجهابِذة النُّقَّادُ منهم**)

أي: من الذي يعرفه هذا الفن؟ يعرفه الجِهْبِذ

والجِهبِذ؛ مفرد جهابذة (الجمع)؛ وهو الخبير الناقد المتفنّن في العلم

قال: (**يميّزونَ بين صحيحِ الحديث وسقيمه، ومُعْوَجِّه ومُستقيمه**)

هؤلاء الذين يستطيعون تمييز هذه الأحاديث.

قال: (**كما يُمَيِّز الصيْرفِيُّ البصيرُ بصناعته بين الجِياد والزُّيوفِ، والدّنانير والفُلوس**)

يشبه علماء العلل بالصَيرفي.

والصيرفي هو الخبير بالجيّد والرّديء من الدراهم والدنانير، وقد كانت الدراهم والدنانير قديماً من الذهب والفضّة؛ وكان يحصل فيها تزوير؛ يزورونها؛ فكيف كانوا يعرفون المُزوّر من الأصلي؟

يذهبون إلى الصيْرفي؛ هذا الرجل مُتفنِّن في هذا المجال، من كثرة عَمله في هذا الفن تعلّم وصارت عنده خبرة، فجمع بين العلم والخبرة، فصار يُحسن ما لا يحسن غيرُه؛ فلذلك يأتون إليه كي يميّز لهم بين الدنانير الأصلية والمُزيّفة، وما بين الجيِّدة والرّديئة؛ فهو يعرف كيف يميّز؛ من خلال الخبرة.

الآن تأتي عند خبير في الذهب مثلاً تعطيه قطعة؛ تقول له: هذه أصلية أم لا؟

يُمسكها يقلّبُها، ثم يقول لك: هذه أصلية.

أحيانا حتى في فنون أخرى؛ تذهب مثلاً إلى ميكانيكي يصلّح السّيارات إذا كان خبيراً ومتفنّناً يقول لك: شغّل السّيارة، تشغلها؛ فيقول لك: فيها كذا وكذا.

أنت بالنسبة لك ما سمعت شيئاً، ما الفرق بين أنك شغلتها أو لا؟

نفس الشيء؛ صوت سيارة وتشتغل فقط! هذا الذي ظهر بالنسبة لك.

أما بالنسبة له؛ فعنده أذنٌ تعرف كيف تفرّق ما بين السيارة التي تشتغل بطريقة صحيحة وبين السيارة التي فيها خلل.

تذهب إلى طبيب يقول لك: ماذا عندك؟

تقول له: أشعر بكذا وكذا وكذا؛ فيقول: عندك مرض كذا وكذا.

كيف؟ بالخبرة؛ هكذا الخبرة تكون من خلال الممارسة، والمتابعة بشكل كبير مع التعلّم؛ فيصبح عندك رسوخ في هذا الفن.

وهؤلاء علماء العِلل من كثرة مُمارستهم لأحاديث النبي ﷺ وشُغلهم فيه؛ صار عندهم خِبرة ومعرفة ورسوخ في هذا الفن.

كما تجلس أنت مع أبيك؛ تعيش معه فترة طويلة جداً؛ تسمع كلامه وتعرفه، ثم يأتي شخص بعد مدة وينقل لك خبراً عن أبيك؛ تبادر وتقول له: لا؛ مستحيل! والدِي لا يتكلم بهذا الكلام؛ فمن أين نَفيْت؟

من خلال خِبرتك بكلام والدِك؛ بأسلوبه وطريقته وطريقة تفكيره وكلامه؛ عرفته؛ وكذلك هؤلاء؛ بكثرة شغلهم بأحاديث النبي ﷺ صارت عندهم خبرة؛ حتى إنك بمجرد ما تقول له: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا؛ يقول: لا؛ هذا ليس من كلام النبي ﷺ.

كيف عرف؟

ما هم كالعقلانيين الذين يردّون حديث النبّي ﷺ بالعقل؛ لا؛ إنما هذا من خلال خبرته ومعرفته بأحاديث النبي ﷺ؛ فيعرف كيف يتكلم النبي ﷺ، وما الذي يقوله وما الذي لا يقوله، أو ما يمكن أن يقوله وما لا يمكن أن يقوله؛ من خلال المقارنة ببقية أحاديثه التي سمعها.

قال: (**فكما لا يتمارى هذا**)

يعني كما لا يشك الصَّيرفي في الذهب الأصلي والمُزوّر؛

قال: (**كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه**)

كذلك يقطع المحدث بأن هذا الحديث معلّلٌ أو صحيحٌ.

قال: (**ومنهم من يظن!**)

أي: منهم من يغلُب على ظنّه؛ فيحكم بغلبة الظن، ومنهم من يقطع يقِيناً ويقول: هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، وأحياناً يقول: يغلب على ظني أنه ليس ثابتاً عن النبي ﷺ.

قال: (**ومنهم من يقِف!**)

يعني: يشك

قال: (**بحسب مراتب علومهم وحِذْقِهم واطّلاعهم على طرق الحديث**)

فهم يتفاوتون أيضاً في التفنُّن في هذا العلم، في الحفظ، في الاتقان، في الخبرة.

وبحسب اطلاعهم على طرق الحديث؛ لأن طرق الحديث هي لبّ الموضوع؛ حين تجمع طرق الحديث من جميع كتب السّنن، والمسانيد، والمجاميع... إلى آخره؛ عندها يظهر لك الحديث، وتظهر لك صورته بشكل واضح جداً.

قال: (**وذوقِهم وحلاوة عبارة الرسول ﷺ التي لا يُشبِهُها غيرها من ألفاظ الناسِ**)

ذوقهم من ناحية معرفة حديث النبي ﷺ، وتعوّدهم على ألفاظ النبي ﷺ.

قال: (**فمن الأحاديثِ المرويّةِ ما عليه أنوار النبوة**)

هناك أحاديث؛ ألفاظ تخرج؛ تجدُها ألفاظاً جامعة؛ قد حوَت الكثير من المعاني الفاضلة؛ فمثل هذه تكون من كلام النبي ﷺ؛ لا شك في ذلك.

قال: (**ومنها ما وقع فيه تغيير لفظٍ، أو زيادةٌ باطلةٌ، أو مجازفةٌ، أو نحو ذلك، يُدركها البصير من أهل هذه الصناعة**)

يعني خلاصة الموضوع: أن هذا الفن له جهابذته؛ أهله.

وكيف يمكن أن يكتسب الشخص هذا ؟

من خلال العلم، وطول الخبرة، وممارسة حديث النبي ﷺ بكثرة؛ عندها تصير عنده خبرة ومعرفة بهذا الفن.

قال: (**وقد يكون التّعليلُ مستفاداً من الإسناد**)

يعني يمكن أن تعلّل الحديث بسبب إسناده، ويمكن أن تعلّله بسبب متنه.

وسيأتي إن شاء الله أمثلة لذلك، وتطبيق عملي عند دراسة علم العلل.

قال: (**وبسط أمثلة ذلك يطول جداً، وإنما يظهر بالعمل**).

يعني لو توسّع في هذا الأمر وذكر أمثلة؛ فهذا طويل جداً، وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر أمثلة كثيرة جداً؛ لكن هذا طويل.

ولا يمكن أن أحصُر لك موضوع العلل في مثال، أو مثالَيْن، أو ثلاثة؛ لا؛ هي تختلف، وتتقلب بشكل كبير جداً، وكل علة تختلف عن العلّة الأخرى، وكل صورة تختلف عن الصورة الأولى.

لكن عندنا قواعد وأصول؛ هذه هي التي سندرسها في الأخير إن شاء الله.

وقد جمع ابن رجب الحنبلي جزاه الله خيراً بعض القواعد في هذا الفن؛ فسندرسُها إن شاء الله في الأخير، ثم نُطبِّقها عملياً؛ على أمثلة عمليَة، ويتضح لنا الأمر بإذن الله تعالى.

قال: (**ومن أحسن كتابٍ وُضع في ذلك، وأجلّه، وأفْحلِه: كتاب "العِلل" لعلِي بن المديني شيخ البخاري وسائر المحدثين بعده في هذا الشأن على الخصوص**)

يقول يوجد كتب متخصّصة في هذا الفن، وأفضل هذه الكتب كتاب علي بن المديني "**العلل**".

لكن للأسف الكتاب طُبع منه جزء صغير وغير موجود كاملاً.

وعلي بن المديني كان يلقّب بحيّة الوادي؛ لعظم تفنّنه بعلم العلل.

قال: وهو شيخ البخاري، وشيخ سائر المحدّثين الذين جاءوا من بعده في هذا الشأن بالخصوص؛ فهو أول من جمع الأحاديث المُعلّة، وتكلم عن عِللها، وتبعه بعد ذلك المحدثون.

ومن أقواله في هذا الفن:" الباب إذا لم تجمع طُرقه لم يتبيّن خطؤه"؛ هذه القاعدة التي ذكرها علي بن المديني هي أساس هذا العلم؛ " الباب إذا لم تُجمع طُرقه لم يتبيّن خطؤُه"؛ فأنت حين تذهب وتفتح كتاباً من كتب السنن؛ باب كذا وكذا ويذكر لك عدّة أحاديث متعلقة بنفس المَوضوع؛ فيقول علي بن المديني: هذا الحديث إذا أردت أن تعرف علّته تحتاج أن تبحث عن كل الأحاديث الواردة في المسألة، وتجمع كل طُرُق الحديث الواحد؛ عندئذ يتبيّن لك الصحيح من الخطأ من الروايات؛ وسيأتي إن شاء الله.

وقال الخطيب البغدادي: " السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه وينظر في اختلاف رواته، ويعتبر بمكانتهم من الحفظ، ومنزلتهم في الإتقان والضبط".

أي: الحديث الواحد إذا أردت أن تعرف أنه صحيح أم لا؛ لابد أن تجمع طرقه من جميع كتب الصِحاح والسنن والمسانيد... إلى آخره، ثم بعد أن تجمع طُرقه، وتنظر في رُواتِه؛ كيف رَوُوه، ومن الذي أخطأ، ومن الذي أصاب، ومن الذي زاد، ومن الذي نقّص؛ عندئذ يظهر لك حقيقة الصواب من الخطأ في الحديث.

قال المؤلف مكمِّلًا لِمن ألّف في هذا العلم؛ قال:(**وكذلك كتاب "العِلل" لعبد الرحمن بن أبي حاتم، وهو مرتَّبٌ على أبواب الفقه**)

وهو كتابٌ موجود ومطبوع.

قال: (**وكتاب "العلل" للخلّال.**

ويقع في "مُسند الحافظ أبي بكر البزّار" من التعاليل ما لا يوجد في غيره من المسانيد)

مُسند البزّار مَوجُودٌ أيضاً مطبوعاً.

والبزّار بعد ما يذكر الحديث يذكر أحياناً العلّة؛ علة الحديث.

ثم قال: (**وقد جمع أزِمَّة ما ذكرناه كلّه الحافظ الكبيرُ أبو الحسن الدارقُطني في كتابه في ذلك، وهو من أجلّ كتاب -بل أجلّ ما رأيناه- وُضِع في هذا الفن، لم يُسبَقْ إلى مثله، وقد أَعْجَزَ من يريدُ أن يأتيَ بشكلِه فرحمه الله وأكرم مَثواه**)

هذه خلاصة الموضوع

إذن تريد التمرُّس حقيقة في علم العلل؛ فعليك بكتاب "**العِلل**" للدارقُطني، وهو كتاب مطبوع، وهو حقيقةً أنْفس ما أُلّف في هذا النوع.

ولكن لا تذهب الآن مباشرة وتفتح كتاب "**العلل**" للدارقطني! لأنك ستتوه معه؛ بل اصبر قليلاً حتى تُنهي علم المُصطلح، وتنهي علم الرجال، وتنهي بحث طرق الحديث، وتدرس العلل، وتدرس عملياً؛ بعدها تقرأ في كتاب "**العلل**" للدارقُطني؛ وعندها ستفهمه؛ أمّا غير ذلك؛ فستتوه من كثرة الطرُق التي يضعها لك الدّارقُطني؛ ولن تفهم شيئاً منه، فالآن لا زال الوقت مبكراً، من المُهم جداً لك كطالب علم أن تدرُس العلم بتأنٍّ، وأن تتدرّج فيه شيئاً فشيئاً، لا تستعجل وتقفِز؛ كما نرى الآن كثيراً من طلبة العلم؛ مبتدئ ومستعجل؛ يسأل عن أشياء كبيرة، ويكثر من السّؤال عن الأشياء التي ستأتي.

اصبر لا تستعجل..

الآن اهتم بدايةً بفهم المادة التي بين يديك؛ وأما الزيادة فستأتي إن شاء الله.

مهم جدًا أن تسأل في المادة التي بين يديك كي تفهمها وتُتقنها بشكل جيد؛ هذا طيِّبٌ؛ لكن لا تسأل عن أشياء أكْبر؛ لأن كل شيء سيأْتي إن شاء الله بالتدْريج.

كتاب "**العلل**" للدارقطني حقيقة هو أنْفس كتاب في علم العلل؛ ولابدّ من الإكثار من القراءة فيه والاطّلاع عليه بعد أن تُنهي مرحلة التأصيل العلمي في هذا العلم.

ومن الناحية العمليَة أنا أنصح بدايةً بالاطّلاع على كتاب "**الإلزامات والتتبُّع**" وهو أيضاً للدّارقُطني؛

لكن حقّقه شيخنا الوادعي رحمه الله تحقيقاً علمِياً طيّبًا، وهو من الناحية العمليَة يُساعدك جداً على التمرُّس في هذا العلم شيئاً فشيئاً.

كذلك " **السلسلة الضعيفة**" للشيخ الألباني رحمه الله؛ فهو من أجوَد ما ألّف الشيخ الألباني رحمه الله؛ كتاب نفيس وفيه تعليل، ويُعَلِّمُ التَّعليل بشكل طيب جداً.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في "**تذكِرة الحفَّاظ**"[1] في ترجمة الدّارقطني بعدما ذكر ما يدلّ على سيلانِ ذهن هذا الإمام الدّارقطني رحمه الله: (هنا يُخضع للدّارقطني ولسِعة حِفظه، الجامع لقوّة الحافظة ولقوّة الفهم والمعرفة، و إذا شئتَ أن تبيّن براعة هذا الإمام الفرد، فطالع العلل له، فإنّك تندهش ويطول تعجّبك). انتهى كلام الذّهبي رحمه الله من الثناء على هذا الكتاب، وعلى هذا الإمام.

قُلت: إذا استحضرْت أنّه أملاها على البَرْقاني من حِفظه؛ فلن ينتهي تعجُبك عندها.

والبرْقاني هذا هو تلميذ الدّارقُطني.

عند قراءتك للعلل؛ تتشتَّت ولا تستطيع أن تضبِط الأسماء التي يذكُرها؛ يقول: هذا الحديث رواه فلان من طريق فلان، واختُلِف على فلان فرواه فلان بطريق كذا، ورواه فلان بطريق كذا... إلى آخره؛ هذا وأنت تقرأ فقط مجرّد قراءة؛ تَتُوه إذا لم ترسم أمامك الصورة.

هذا كلّه كان يسْرده حِفظاً من غير كرّاس!

عندما تنظر في مثل هذا؛ تعرف جلالة قدر هؤلاء الأئمّة، وتعرف معنى أنّهم أعلم مِنك، وأحفظ منك، وأدرى منك؛ قومٌ قد اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لحفظ شريعته ودينه؛ فاليوم لا يوجد مثلهم؛ هؤلاء الذين يُسمَّوْن بالحُفّاظ بحق.

وزمن الحُفَّاظ الذي هو على هذا المستوى؛ قد انتهى اليوم.

قال: (**ولكن يعُوزُه شيءٌ لا بدّ منه**)

يعني يحتاج هذا الكتاب لشيء لابد ّمنه؛ فما هو هذا الشيء؟

قال: (**وهو أن يرتَّبَ على الأبوابِ؛ ليَقرُبَ تناولُه للطلابِ**)

يعني هو ليس مرتَّباً ترتيباً على الأبواب الفقهية؛ فيصعُب عليك إذا أردت حديثاً أن تصل إليه.

لكن اليوم قد وُضِعت له فهارِس، وضُبِطَ بشّكل صار من السّهل جداً الاستفادة منه، خاصة مع

1- (133/3)

وُجود المَوسوعة الشاملة؛ فصار من السّهل جداً الوُقوف على الحديث الذي تُريده.
قال: (**أو تكونَ أسماءُ الصحابةِ الذين اشتمل عليهم مُرتَّبين على حروف المُعجم**)
يعني المهم أن يُرتّب بأي طريقة بحيث يسْهُل الوُقوف على الحديث؛ وهذا غير موجود في الكتاب؛ لكن كما ذكرنا قد وُضعت له فهارِس، ومع وجود المَوسوعة الشاملة؛ فالحمد لله قد تيسر الأمر جداً.
قال: (**ليَسْهُل الأخذ منه؛ فإنّه مبدَّدٌ جداً**)
يعني أحاديثه مفرّقة لا يمكنك أن تعرف أين يمكن أن تجد الحديث.
قال: (**لا يكاد يهتدي الإنسان إلى مَطْلوبِهِ منه بسُهولة. والله المُوفّق**)
ولشيخنا الوادعي كتابٌ نافع في علمِ العلل وهو " أحاديث مُعلَّة ظاهرها الصّحة "؛ نقل فيه كلام أئمة العِلل على بعض الأحاديث المُعلّة.
وكما ذكرنا؛ فيمكن أن نستفيد من تعليقات شيْخنا رحمه الله على "**الإلزامات والتّتبُّع**" للدّارقطني؛ فإنه مفيد جداً.
وكتاب شيخنا الوادعي: " **أحاديث مُعلَّة ظاهرها الصحة**"؛ كان الشيخ وهو يجمع كتابه "**الجامع الصحيح ممّا ليس في الصحيحين**" تظهر معه أحاديث ظاهرها الصّحة ثم يكتشف فيها علّة؛ فأراد أن يُفْردها في كتاب مستقِل؛ فخرجت هذه الأحاديث.
وطريقة شيخِنا رحمه الله يعتمد فيها على تعليلات الحُفاظ، فحديث أعلّه البخاري، أعلّه الدّارقطني مثلاً؛ يُخرجه من كتابه ولا يُبقيه؛ هذا شرْطه في الكتاب "**الجامع الصّحيح ممّا ليس في الصحيحيْن**".

خلاصة المَوضوع: هذا فنٌّ مُهم جداً وله أهله، ومن أراد أن يُتقنه؛ يجب أن يُتقن هذا العلم، والعلوم التي ستأتي إن شاء الله، ثمّ يُكثر من النّظر في هذه الكُتب التي ذكرناها وخصوصاً كتاب "**العِلل**" للدّارقُطني، ويُكثر من مُمارسة علم الحديث عملياً في الحكم على الحديث، أو قراءة كلام أهل العلم في الحكم على الأحاديث؛ عند ذلك يتمرّس وتصير عنده دُرْبة في هذا الفن.
طبعاً من قرأ كلام هؤلاء الأئمة في العِلل؛ عرف عندئذٍ الفرق بين هؤلاء الحُفاظ علماء العلل وبين غيرهم ممَّن جاء بعدهم.
كان شيْخنا رحمه الله يقول: هؤلاء الحُفاظ هم المرجِع في معرفة العلل وما ينبغي أن يُناطحُون، وأن يُعترض عليهم؛ إذا قالوا عن حديث أنه مُعلّ؛ ينتهي الأمر.

نعم إذا اختلفوا نحن ننتقي من أقوالهم وننظر الرّاجح بناءً على الأدلة، لكن إذا قال واحد منهم هذا حديث مُعلٌّ؛ فلا يبقى لنا نحنُ قول معه؛ خصوصاً إذا لم يذكر لنا العلّة؛ وذلك لأنهم من خلال خِبرتهم، ومعرفتهم بأشياء نحن لا يُمكِننا الوقوف عليها الآن يقولون ذلك؛ فلذلك ليس لنا إلّا أن نُسلِّم، أمّا إذا ذكروا لنا العلّة عندئذٍ بإمكاننا أن ننظر في هذه العلّة هل هي صحيحة أم ليست بصحيحة. والله أعلم.

على كل حال الضابط في موضوع معرفة العِلل هو: إذا تكلّموا في شيء لا علم لنا به؛ فلا يسعُنا عندئذٍ إلّا أن نُسلِّم لهم، وأن نقْبل أقوالهم، ولا نُناطِحهم، ولا نُعارضهم كما يفعل بعض الجّهال ممّن ردّ عليهم شيخنا رحمه الله في كتابه "**غارة الفِصل على المُعتدين على كتب العِلل**" وأمثالهم.